مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد الرابع والعشرون - المجلد الأول - علم النفس - أيلول 2024 م
doi.org/10.52866/esj.2024.01.24.24

تعاطي المخدرات وتفاقم ازمة الانتحار لدى الشباب

م.د بكر حسين فاضل
الجامعة العراقية / كلية التربية
bakr.h.fadhil@aliraqia.edu.iq

مستخلص:

هدف البحث الحالي التعرف على الاثار النفسية لتعاطي المخدرات لدى الشباب، ودورها في زيادة خطر الانتحار المباشر والانتحار غير المباشر، ولتحقيق اهداف البحث تم اعتماد المنهج الوصفي التحليلي، حيث اجري العديد من المراجعات النظرية المنهجية والمستندة على قواعد البيانات للعديد من الباحثين في كافة ارجاء العالم، وتوصل البحث الى ان هناك دور فاعل يؤديه تعاطي المخدرات في زيادة خطر الانتحار لدى الشباب، اذا كانوا يعانون من ازمات او اضطرابات نفسية ام لا، كما ان خطر الانتحار يرتفع بشكل عام لدى المدمنين خاصة الشباب الذين تتراوح اعمارهم بين (16 – 32) سنة، وقدم الباحثان بعض التوصيات اللازمة لمواجهة المخدرات وتقليل خطر الانتحار، كما اقترح الى توفير قاعدة بيانات بحثية تخص المتعاطين وأعدادهم لغرض اجراء البحوث، ودراسة خطر الانتحار لديهم.

الكلمات المفتاحية: المخدرات ، التعاطي ، الانتحار.

Drug abuse and the worsening suicide crisis among young people

Abstract :

The current research aims to identify the nutritional effects of smoking resulting from smoking in young people, and leads to the risk of drug addiction in indirect adolescents, and to achieve the research objectives, the descriptive analytical form is relied upon, where many returns are made to the initial levels and based on basic data from diabetes around the world, and the research concluded that there is an effective role played by the risk of smoking in increasing the risk of smoking in adolescents, as long as the impact on crises or the equivalent psychological or not continues, as well as the risk of reduction in general among addicts, especially young people between the ages of (16 - 32) years, researchers for some tools necessary to reach a statement of the risk of suicide, and they suggested providing a research database for addicts and their numbers only for two reasons, and studying the risk of suicide themselves.

Keywords: drugs, abuse, suicide.

المقدمة :

صار موضوع الادمان وتعاطي المخدرات والمؤثرات العقلية في البلدان العربية عامة و العراق خاصة امر بالغ الخطورة، واحد الموضوعات الرئيسية للمناقشة والبحث على كافة المستويات ومختلف المؤسسات العلمية والبحثية والأمنية، وهو جزء من الصراع المستمر بين الخير والشر والشباب وأسرهم والحكومات من جهة، وتجار المواد المخدرة من جهة أخرى، وبين الاغنياء والفقراء وبين الخارجين عن القانون والمطيعين له، وعلى الرغم من انها محل اهتمام بالغ لدى الحكومة العراقية، وتنفق ملايين الدولارات من قبلها للسيطرة عليها، وصياغة اشد القوانين صرامة لمواجهة المتاجرين بها، كسن قانون المخدرات والمؤثرات العقلية رقم (50) لسنة (2017) واستدعت كذلك تشكيل العديد من الجهات الرسمية وغير الرسمية لمواجهتها من دوائر حكومية ولجان برلمانية وغيرها مثل: المديرية العامة لشؤون المخدرات والمؤثرات العقلية التابعة لوزارة الداخلية العراقية وغيرها من مصحات وعيادات مخصصة لمعالجة المدمنين، وأقامة المؤتمرات الدولية لهذا الصدد مثل (مؤتمر بغداد الدولي لمكافحة المخدرات) حتى صار موضوع مواجهة المخدرات جزء من منهاج الحكومة العراقية الحالية، وكذلك حرص وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في الحث على زيادة الجهود البحثية والعلمية للبحث في آفاقها وأسبابها، وطرق المواجهة لظاهرة التعاطي التي بدأت تفتك بالمجتمع، وأقامة المؤتمرات ألا ان من الملاحظ هناك ندرة بالبحوث التي تساعدنا على تقديم فهم اكثر وأعمق لهذه الظاهرة وزيادة الوعي العلمي بها، مما ادى الى زيادة ملحوظة في ضحاياها وكذلك زيادة بأعداد الشهداء المواجهين لها، وعلى الرغم من ان تناول الاعلام لهذه القضية كجانب من المواجهة لكن اصبحت الظاهرة محل استفادة مالية كبيرة للجهات الاعلامية ومادة لجمع مشاهدين دون التركيز على موضوعاتها التي من الممكن ان تؤدي دور الاعلان بدل المواجهة والحد منها.

في الحين الذي كانت الشركات الطبية التي تحاول ان تجد علاجات لبعض الامراض التي تتداخل بشكل مباشر مع تأثيراتها على الحالة المزاجية والعقلية للمريض، تم من الناحية الاخرى تطوير هذه العلاجات لتستخدم كمادة مخدرة للإفراد العاديين، وكذلك وجود نباتات محددة كانت موجودة منذ آلاف السنين مثل مجموعة من القنب والماريجوانا التي تنتج عند تناولها حالات متغيرة من الوعي وإلغاء الالم وتغيير المزاج، وكانت ايضاً تستخدم في قديم الزمان بالاحتفالات حتى اعتقد ان البعض منها مقدس، وعادة ما يستخدمها الكهنة لأغراض مثل الاسرار الدينية والشفاء والتنبؤ بالمستقبل، والتواصل مع الآلهة والموتى، او التنبؤ بمصير العدو وغيرها (Esang& Ahmed , 2018:p. 109).

ويمكن ان نوضح مفهوم المخدرات التي نقصدها بأنها كل المواد التي يتم تناولها ولها قدرة على احداث تغيير في مزاج او حالة الوعي لدى الفرد، بشكل متقصد من قبل الفرد مع عدم وجود حالة مرضية تتطلب ذلك، والتي صنفت الى ثلاث اصناف رئيسية وهي:

1. الطبيعية: مثل النباتات التي لها تأثير على وعي وادراك الفرد بصورة مباشرة، مثل نبات القنب والخشخاش والقات والكوكا وغيرها.

2. نصف تصنيعية: وهي الاضافات او المعالجات الكيميائية التي تضاف الى النباتات المخدرة لتكون اشد تأثيراً في عملها كمخدرات.

3. التصنيعية: وهي المواد التي تتشكل بطبيعة تركيبية كيمائية لتكون مواد ذات اثر وفاعلية المخدرات مثل: حبوب المنومات والمهدئات والمسكنات والهلوسة وغيرها والتي يتم تصنيعها بالكامل في مصانع الادوية، وتتصدر كمواد علاجية يمكن البعض منها ان يوصف كعلاج لحالات مرضية. (ابو زيد، 2023: 260)

اولاً: مشكلة البحث :

تعد مشكلة المخدرات وتعاطيها وإدمانها واحدة من اخطر المشكلات الاجتماعية والنفسية التي تواجهها المجتمعات في جميع انحاء العالم، وتحتل مكانة الصدارة في القضايا التي تتطلب مواجهة حازمة، كون ان المجتمعات تدفع ضريبتها بضياع ابنائها وانتشار الجريمة والمشكلات الصحية فهي آفة اجتماعية تهدد وجود وكيان المجتمعات والإفراد المتعاطين على حد سواء (حمودة، 2007: 123) فوفقاً لتقرير المخدرات العالمي هناك ما يقرب من (300) مليون متعاطي للمخدرات على مستوى العالم، وعلى الرغم من ان ٪90 من المتحرين يعانون من اضطرابات نفسية الا ان متعاطي المخدرات لديهم خطر اكبر من الوفاة بالانتحار بمقدار 10– 14 مرة، وما يقارب 22٪ من وفيات الانتحار حول العالم وجدوا انهم متعاطين للمخدرات (Es-sang & Ahmed, 2018:p.12) وان 42٪ من المنتحرين كانوا اضافة الى معاناتهم من اضطرابات نفسية هم مدمني لتعاطي مواد مخدرة او كحولية، وتعتبر نسبة كبيرة من الوفيات المرتبطة بالكحول والمخدرات وفيات ذات طبيعة عنيفة وتتطور على انواع مختلفة من الصدمات، بما في ذلك الانتحار (Gvion & Apter, 2012:p. 124).

ثانياً: اهمية البحث :

حظيت المخدرات باهتمام عالمي بالغ منذ عام 1946 بتشكيل لجنة الامم المتحدة للمخدرات، بما يتعلق بالصحة النفسية والجسدية وتفاقم حالات الانتحار لدى المتعاطين، اذ تعترف منظمة الصحة العالمية بالاستعمال غير الصحيح للمخدرات وصنفت كعوامل خطر اساسية للانتحار، وان معالجتها والتصدي لها يعتبر هدف مضاعف للبلدان التي طورت استراتيجيات المواجهة للمخدرات والكحول، كذلك جعل مكافحة المخدرات واحداً من اهداف التنمية المستدامة لمنظمة الصحة العالمية WHO وتحديداً الهدف (3.5) الذي يدعوا الحكومات الى تعزيز برامج الوقاية والعلاج من تعاطي المخدرات، كون ان هذه المواد لها ادوار مختلفة تتعلق بتدهور الصحة الجسدية والنفسية، وزيادة خطر الانتحار فهي وسائل وأدوات للانتحار بمفردها او بالاشتراك مع بعضها البعض او بالاشتراك مع مواد اخرى لزيادة قوتها القاتلة (Dinitto, 2012: p.169) وكذلك تستعمل لتثبيط الخوف او الحد منه قبل تنفيذ الانتحار وان تأثيراتها ثنائية الطور فهي منشطة ببعض الانواع مما تزيد الاندفاعية او العدوانية، و مهدئة تثير مشاعر الحزن واليأس فضلاً عن ضعف الادراك، وقد تكون مرتبطة بعامل اخر من عوامل خطر الانتحار مثل المرض النفسي (Herbeck & Brecht, 2013:p. 321).

ويمكن تلخيص اهمية البحث الحالي بما يأتي:

1. اهمية فئة الشباب باعتبارهم حاضر المجتمع ومستقبله وطاقته المنتجة.

2. كما تأتي اهمية البحث الحالي من اهمية الموضوع الذي تتناوله وهو آفتين بدأتا تنهشا جسم الشباب والمجتمع وهما (المخدرات و الانتحار).

3. خطورة تفاقم الازمات ودورها في تسريع الافكار الانتحارية عند المتعاطين.

4. كما تتضح اهمية البحث الحالي من التفسيرات التي تعطي فهماً اعمق لظاهرة التعاطي وأسبابها، وكذلك الانتحار ودور المخدرات في زيادة معدلاته عند الشباب.

ثالثاً: هدف البحث :

يهدف البحث الحالي التعرف على:

1. الاثار النفسية لتعاطي المخدرات.

2. دورها تعاطي المخدرات في زيادة خطر الانتحار المباشر والانتحار غير المباشر.

3. اقتراح سياسة وقائية وعلاجية لإدمان المخدرات.

رابعاً: تحديد المصطلحات:

- **تعاطي المخدرات:** هي عملية تناول مادة او مواد مصنفة ضمن المخدرات والمؤثرات العقلية تؤثر على سلوك الفرد وعقله بشكل يعيق عملياته العقلية والجسدية وتأدية مهامها بصورة صحيحة (علي، 2012: 17).

- **ازمة الانتحار:** ظهور افكار او سلوكيات تؤشر الى نية الفرد في ايذاء نفسه والتخلص من حياته بشكل قصدي (Roberge et al, 2019:p. 3).

اجراءات البحث:

تحقيقاً لأهداف البحث اعتمد الباحثين الاسلوب التحليلي للمحتوى العلمي لبحوث والنظريات التي استطاع الباحثين الحصول عليها والتي تفسر وتحقق اهداف البحث، باعتماد الجوانب الآتية:

1. مفهوم التعاطي والادمان.
2. التفسيرات النظرية لسلوك الادمان.
3. العلاقة بين المراهقة وتعاطي المخدرات.
4. العلاقة بين تعاطي المخدرات والانتحار لدى الشباب.
5. العلاقة بين تعاطي المخدرات والانتحار غير المباشر وسلوك ايذاء النفس لدى الشباب.
6. اقتراح استراتيجية للوقاية من المخدرات وخطر الانتحار لدى الشباب.

اولاً: نتائج التحليل المتعلق بمفهوم التعاطي وإدمان المخدرات:

يصنف الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات العقلية إدمان المخدرات باعتباره اضطراباً في الشخصية، يتسم بأنماط سلوكية متجذرة وغير تكيفية، تختلف بشكل ملحوظ في الجودة عن الاعراض الذهانية والعصابية، وقد تستمر هذه الانماط مدى الحياة، اما فينيشيل (Fenichel, 1948) فقد صنف إدمان المخدرات ضمن العصاب الاندفاعي impulse neurosis ويظهرون الحاجة الى الحصول على شيء ليس مجرد اشباع ضمني، بل لتكييف الامن النفسي وتأكيد الذات وبالتالي يعتقد انه المخدرات شيء اساسي لوجوده ككيان شخصي قائم بذاته، وهم غير متكيفون اصلاً ولا يستطيعون تحمل الالم والإحباط ومواقف الانتظار، وهذا ما يدفع الى الشوق اكثر فأكثر لتناول مواد تنهي هذه الحالات وتختفي الاهتمامات بالواقع تدريجياً فهي

تكون مصدر اللذة والمتعة والراحة كما وصفها احد مرضى التعاطي بقوله لدكتور جيمس ماثيس (1970) «كما تعلم يا دكتور ان المدمن يمارس الجنس مع نفسه» فعند حقنه الابرة وما يتبعها من لذة تكون محل جميع الملذات الاخرى التي من الممكن ان تأتي باللذة مثل ممارسة الجنس.

ويعتبر بلاشلي (Blachly ,1970) تعاطي المخدرات سلوك إغوائي، ويحدد صفات السلوك الاغوائي بأنه :

1. يشارك الضحية نفسه بالنشاط الاغوائي.
2. السلبية بأن الضحية يعرف الخطر ولكنه يفعله على اي حال.
3. مكسب قصير المدى.
4. عقوبة طويلة المدى

وان تعاطي المخدرات احد اهم السلوكيات الاغوائية، كذلك الاغتصاب والسرقة والمقامرة وغيرها من السلوكيات الضارة لكن تمارس بشكل متورط بفضل الاغوائات التي لا يستطيع الفرد مقاومتها، ومن المرجح ان الانخراط في اي سلوك اغوائي يؤدي وبالضرورة الحتمية الى الانخراط في اغواءات اخرى، وان الافراد المختلفين لديهم عتبات لمقاومة الاغواء بشكل متباين، وفي فترات مختلفة ويزداد الخطر كلما كانت الفترة حرجة.

كما صنف المتعاطين للمخدرات الى اربعة اصناف هي:

1. **المتعاطي المجرب:** هو من دفعه فضوله الى تجربة عقار مخدر لمرة واحدة اشباعاً لفضوله ومعرفة المجهول، ويكمن خطر هذا النوع من التعاطي اذا ما كان صديق او قريب مدمن ويجر المجرب الى تكرار تجربته.
2. **المتعاطي العرضي:** هو من يتعاطى دون بحث او جهد بل اذا ما توفرت بشكل عرضي عن طريق صديق او قريب، وتحدث هذه الحالة كثيراً في المناسبات الاجتماعية، وهم معرضين بدرجة كبيرة للادمان والاستمرار بالتعاطي، خاصة اذا كان مصدر توفر المخدرات متوفر بشكل مستمر.
3. **المتعاطي المنتظم:** هو مدمن بشكل مستمر على تناول عقارات المخدرات بشكل دائم ومنتظم ويشعر المتعاطي بالاكتئاب والتوتر وغيرها من الاعراض اذا لم تتوافر المخدرات.
4. **المتعاطي القهري:** وهو اشد انواع الادمان التي تسيطر عليه المخدرات بشكل كامل فيكون سلوكه وتفكيره متوجه بشكل دائم على تعاطي المخدرات، فتكون المخدرات اهم شيء بحياته. (عبد الرحيم والبقال، 2019: 286)

- ادمان المخدرات:

تنشا مشكلة رئيسية عندما نحاول دراسة سلوك الافراد الذين يتعاملون مع الادمان فيعرف موقع WebMD [1] الادمان بأنه «مرض دماغي مزمن ومتكرر غالباً ما يسبب البحث القهري عن المخدرات واستخدامها على الرغم من العواقب الضارة للفرد المدمن» (WebMD) ويلعب الوعي الدور الحاسم في سلوك ادماني، فوفقاً لهذا التعريف ان الادمان مرض يصبح فيه عقل الشخص وجسده معتمدين على عقار أو نوع أو سلوك معين، ويسبب العواقب السلبية التي يخلفها تعاطي المخدرات والكحول على عقل الشخص وصحته العامة مثل تقليل عمره أو زيادة فرص إصابته بمرض يهدد حياته، فإن السلوك الادماني هو بالتأكيد شكل من اشكال الانتحار غير المباشر (دروكهايم، 2011: 231).

(1) مجلة طبية صحية على الانترنيت .

وان التعاطي والإدمان على التعاطي يعتبر من الدوافع الانتحارية غير الواعية، اذ يفسر جير نسباخر (Gernsbacher, 1985: p.175) الادمان على المخدرات هو "العيش بأسلوب حياة انتحاري" a suicidal lifestyle مما يعني ضمناً ان اسلوب حياتهم سيؤدي حتماً الى الموت المبكر سواء كان ذلك عن قصد او لا، كما قدم شنيدمان (Shneid-man, 1998) مفهوم الوفيات غير المقصودة بدلاً من نوع آخر للانتحار فالمدمن عندما يموت بمرض تليف الكبد، فأن المرض قد قتله على الرغم من ان سلوكه هو كان السبب الرئيسي للمرض وتسبب بطريقة ما موته، الا انه لم ينه حياته بوعي ونشاط فهو موت غير مقصود، وهو ما يعكس فكرة الانتحار غير المباشر (وازي، 2012: 218).

ثانياً: نتائج التحليل المتعلق بالتفسيرات النظرية لسلوك الادمان:

تمثل انزيمات مثل: المونوامين المؤكسدة و الغدد اللمفاوية كمؤشرات بيوكيمائية للنزعات والميول الموجهة نحو الادمان، وان لدى الانسان موصلات عصبية ومسالك مخية تعمل على تعزيز السلوك اللازم للبقاء على قيد الحياة، وكما تعمل على توفير الراحة واللذة، وبهذا فان الدماغ مدفوع فطرياً نحو تحقيق الراحة واللذة، واذا ما جربت المخدرات وما تجلبه من راحة وللذة مؤقته ومختصرة للفرد تجعل الفرد يجرب اكثر من مرة، ونتيجة التجربة يدمن الفرد عليها (حافري، 2021: 109).

كما قدم سيجموند فرويد مصطلح التبعية او الاعتماد للدلالة على الحاجة الاساسية للطفل مثل: تبعية الطفل لامه كحاجة اساسية لبقائه وان اي خلال في هذه العلاقة تكون عقدة البقاء موجودة وعدم الامان، مما تكون احد اهم الدوافع الرئيسية لادمان المخدرات او الكحول للتخلص من مشاعر عدم الامان، كما اعتبر المرحلة الفمية حجر الزاوية نحو الادمان فالمخدرات توفر راحة نفسية عند تناولها تشبه تناول ثدي الام في الطفولة، فيكون الادمان بديلاً نشطاً لنشاط الشبقية الذاتية (بازمول، 2005: 13).

اما فينيكوت (Winnicott, 1969) فأكد في تفسير الادمان على النكوص للمراحل البدائية والذي لم يتجاوز المرحلة الانتقالية، حيث التثبت في الوهم البدائي الذي يتيح شعور الاشباع الوهمي بإرغامه على استثمار الغياب بذاته بدلاً من استثمار موضوع الرغبة، وبالتالي يصبح من الممكن انكار الموضوع الحقيقي واختزال التناقض مع الموضوع المحبوب، فهذه الدفاعات النرجسية المرضية تؤدي الى خلل اساسي في الانا الاعلى (تقدير الذات والشعور بالهوية) (Lopez et.al ,2016: p.2) .

- دوافع التعاطي للمخدرات Motivation for Drug Abuse :

يمكن ان ننظر الى دوافع التعاطي من جانبين رئيسيين هي دوافع شخصية ودوافع مجتمعية وتتركز الدوافع الشخصية حول الصراع الداخلي الساحق، الذي ينشأ فترة المراهقة بالذات ويتمحور موضوعه حول المكانة وبناء الشخصية والجنس وقضايا الاعتماد والاستقلال وانتشار الهوية، لذلك ان اسهل فريسة لتجار المخدرات هم الشباب بعمر المراهقة.

وحدد بيرجر وبورترفيلد (Berger and Porter-field, 1969) اهداف وغايات الذين يستخدمون مواد مخدرة وهي:

1. تحقيق الانفصال عن المشاكل والمتاعب الشخصية والخسارات والفقدان وإنتاج حالة

الرفاهية النفسية المؤقته.

2. تأسيس ارتباط مع الثقافة الفرعية التي تقدم هوية مغايرة له في المجتمع كجعله جريء او شجاع او قوي وغيرها مما يعتقد الفرد بأنه بتناولها سيكون ما يطمح الى ان يكون عليه.

3. كأداة احتجاج ورفض الظلم والتخلص من القيود التي يشعر الفرد بانه محاط بها.

كذلك يميل البعض الى استخدام المخدرات من أجل انكار او اخضاع دوافعه، كاداة لتثبيط الرغبات وتعديل المشاعر الجنسية والعدوانية، وخاصة اولئك الذين يعانون بالفعل من الام جسمية ونفسية، وأولئك الذين يميلون للتعامل مع المشاكل عن طريق الانسحاب والنسيان، ويتخذ العديد من متناولي المخدرات حجة انها تجعلهم مسيطرين على عدوانيتهم وإنكار العداء وتجعلهم اكثر سلاماً مع أنفسهم والعالم، وأكثر تسامحاً، وأكثر تفهماً لوجة نظر الآخر، وهؤلاء هم اطفال الزهور flower children الذين يرون اننا غير قادرين على الحياة الا بوسيلة اخرى تمكننا وفي نظرهم ان السبيل الوحيد لحل مشاكل المجتمع الحديث الموجه نحو المادية والمدمن على النزاعات والحروب هو الانسحاب الى عالم الادوات الاخرى مثل المخدرات والكحول والسفر وغيرها من الادوات التي يرونها هي الحل لحصول التكيف اللازم مع الواقع، وان الاستخدام المطول للمخدرات ينتج عنه فقدان تام للواقع مع عدم الرغبة للرجوع اليه، كون ان تفكيره صار محصوراً بفكرة الانفصال عن الواقع غير المرغوب وانه يعاني بأستمرار من هذا العالم، فيكون اشبه بحالة من الغيبوبة التي تتفاقم معها فرصة خطر الانتحار للتخلص من كل ما يعانيه الفرد سواء الحياة العامة او واقع حياته المؤلم نتيجة العاطي (Geise, 2008: p.10).

ثالثاً: نتائج التحليل المتعلق بالمراهقة و تعاطي المخدرات :

وصفت آنا فرويد (Anna Freud, 1936) المراهقة بأنها صراع من أجل البقاء، حيث يتم استخدام جميع آليات الدفاع وإجهادها الى اقصى حد، وهي اسوء فترة لتجربة المخدرات لأن المهلوسات والمخدرات تعمل على اضعاف دفاعات المراهقين الهشة بالفعل، فهم مفرطون في الانانية ويعتبرون انفسهم مركز الكون وهدفه الوحيد، ومع ذلك فأنهم لا يتمكنون في اي وقت ومرحلة من حياتهم من التضحية بالقدر نفسه بأنفسهم والتفاني الى هذا الحد من الجرأة، فهم يشكلون علاقات عاطفية تنتهي بوقت قصير جداً، ويجازفون بجهد من اجل المتعة والاستمتاع فقط غير مدركين للمخاطر، وهم يتأرجحون بين الخضوع الاعمى لبعض القدوات الذين اختاروهم والتمرد الاعمى للسلطة مثل: سلطة الاباء، وبهذا يكون فهم التعاطي للمخدرات عند المراهقين ابسط بكثير من الناحية التفسيرية، واسهل اكثر عند دفعهم للتعاطي من قبل زملائهم او تجار المخدرات، اذ تكون كشكل من اشكال المرحلة للاستمتاع او التقليد او التمرد (Dragisic et.al, 2015: p.44).

كما ان أمزجتهم تتأرجح بين ضدين متازعين بفترة زمنية قليلة مثل التفاؤل ثم التشاؤم الرغبة وعدم الرغبة، وتتصف كلا الضدين بشيء من الشدة فعندما يكون متشائم يعني انه قد تشائم بمستوى غير طبيعي ولا يتلائم مع طبيعة الموقف، وحتى الغضب فيكون تطرف غير مسيطر عليه عند الغضب، ومن هنا يمكن ان تكون المخدرات كشكل من التدمير السريع للحالة المزاجية القوية.

وكذلك يمكن الحديث عن الحاحهم لإشباع تطلعاتهم ونشوتهم وحماس التجربة خاصة اذا كان الرقيب ضعيف او غائب، او الشعور بالقمع والتسلط المفرط من قبل الوالدين مثل: الضرب او كثرة الانتقاد وفرض الانظمة المغايرة لرغبة وتطلعات المراهق او التي تفوق طاقته الجسدية او العقلية، ولعل هذا الشيء يبدوا للوهلة الاولى بسيط، لكن من الجرم الذي يرتكبه الاهل هو ان تحدد رغبات ومستقبل الابناء بشكل تسلطي لا يتلاءم مع قدرات ابنائهم مثل: "عليك ان تصبح طبيب" وهو لا يرغب ولا تؤهله قدراته العقلية على ذلك، ويبدأ الاهل بدفع الابن الى الاشتراك بدورات ودروس اضافية وضغوط في المنزل للالتزام بالقراءة والتحضير لنيل اعلى الدرجات، وكل هذا هو مخالف لرغبته وطاقته مما يشكل عامل ضغط نفسي فضيع، يجعله يعتقد انه يعيش في عالم معادي له وغير متفهم لحاجاته بشكل عمومي للعالم اجمع، ويبدأ بالبحث في كل الطرق للتخلص منه، والتعاطي للمخدرات هي اولى هذه الطرق، كوسيلة لتخفيف المعاناة من جهة وأداة لمعاقبة الوالدين لسلطتهم من جهة ثانية، وكذلك تكون المخدرات وسيلة لحل دفاعات الانا الملتزمة بتعليمات الوالدين وازلة الشخصية الضعيفة امامهم والواقع ومشاعر المحيط لجلب واستبدالها بمشاعر متعالية او صوفية كعلاج ذاتي، والتي قد تنتهي عند الانهيار والصدمة الى الانتحار (BUCKMAN, 1971: p.31).

كما اكد اريكسون (Erickson, 1950) ان في فترة المراهقة يحتاج المراهق الى اعادة بناء هوية الانا المغايرة عن هويتها في مرحلة الطفولة بقولة "يبحث المراهق عن تثبيت اصنام ومثل عليا دائمة كحراس لهوية نهائية" وتأكيده هذا لربما يساعدنا في فهم ان الانحراف او التعاطي للمخدرات يعد مثالاً يجسد ما يتحدث عنه اريكسون، فقد يكون تعاطي المخدرات فضلاً عن الملابس وتصفيفه الشعر، هو تكوين شعور بالهوية الجماعية والانتماء، حيث تفهم المخدرات في هذه الحالة على انها جزء اساسي من الرجولة وكمال الشخصية الذي يحاول الخروج اليه والتخلص من مرحلة الطفولة، كالسجائر مثلاً الكثير من المراهقين يدخنون السجائر ليس لاي غرض سوى انها تشعرهم بأنهم اصبحوا كبار، خاصة اذا كان المثل الاعلى يدخن مثل الاب او الام، وكذلك الحال في تعاطي المخدرات، كذلك وفي السياق ذاته يحاول المراهقين الانفصال عن الوالدين بشكل تدريجي من خلال استخدام وسائل دفاعية متنوعة بعضها مثبت جيداً والبعض الاخر غير ذلك، وان الانفصال غير التكيفي يتيح للمخدرات مجال لتكون اداة ووسيلة مساعدة للانفصال، فبدل من الانفصال التدريجي يحدث الانفصال المفاجئ، كوسيلة دفاعية للابتعاد التام عن الوالدين وعدم التفكير بهذا الموضوع، كما هو الحال عندما يشكلون رابطة عاطفية مع الجنس الاخر هو محاولة اولية لتوجيه التعلق نحو شيء آخر غير الوالدين، خاصة اذا ما وجد قدوته في شخص يتعاطى المخدرات ويأخذه بعيداً عن والديه والتحرر منهم، فيكون التعاطي هو اداة للانفصال والابتعاد عن الهيمنة الوالدية وإنشاء حياة خاصة لها هوية معينة تخص المراهق نفسه، فيتحول التعلق الى نفور تام وكره وتمرد وعدم الاحترام، وهذا يكون بسبب محاولته لتخفيف الم الانفصال، وما يترتب على ذلك من زيادة في الاحباط والقلق واليأس، مما يؤدي هذا الى البحث عن مخرج سريع للهروب منه ولعل واحد من هذه المخارج كما يعتقد البعض هي المخدرات

(عبد الرحيم والبقال، 2019: 290).

رابعاً: نتائج التحليل المتعلق بالعلاقة بين تعاطي المخدرات والانتحار

شارت العديد من الدراسات الى وجود علاقة قوية بادمان المخدرات والانتحار، بوصفه عامل مهم مرتبط بالانتحار، فقد وجدت دراسة (Orpana et.al, 2019) هناك علاقة بين زيادة نسبة اعداد المتعاطين المرصدين وعدد حالات الانتحار المسجلة في كندا، فعلى الرغم من ان ٪90 من المنتحرين يعانون من اضطرابات نفسية الا ان متعاطي المخدرات لديهم خطر اكبر من الوفاة بالانتحار بمقدار 10 – 14 مرة، وما يقارب ٪22 من وفيات الانتحار حول العالم وجدوا انهم متعاطين للمخدرات (Esang & Ahmed, 2018:p.12) وان ٪42 من المنتحرين كانوا اضافة معاناتهم من اضطرابات نفسية هم مدمني لتعاطي مواد مخدرة او كحولية، وان الاستخدام المطول للمخدرات ينتج عنه فقدان تام للواقع مع عدم الرغبة للرجوع اليه، كون ان تفكيره صار محصوراً بفكرة الانفصال عن الواقع غير المرغوب وانه يعاني بأستمرار من هذا العالم، فيكون اشبه بحالة من الغيبوبة التي تتفاقم معها فرصة خطر الانتحار للتخلص من كل ما يعانيه الفرد سواء الحياة العامة او واقع حياته المؤلم نتيجة العاطي، واكد عبد الله (2019) الارتباط بين تعاطي المخدرات والسلوك الانتحاري، حيث تم أخذ عينة من (690) متعاطي في البرازيل، ظهرت على ٪21 منهم افكار انتحارية، وحاول ٪12.4 منهم الانتحار فعلاً ، مقابل ٪4.7 لغير المتعاطين.

خامساً: نتائج التحليل المتعلق بالمخدرات والانتحار غير المباشر

وفق تعريف ر.ج فراي (R.G. Frey, 1980) للانتحار هو "موت يحدث عمداً نتيجة لوضع الشخص نفسه عن علم وبإرادته في ضروف خطرة" والتي تتوافر فيه عناصر الانتحار الثلاث الرئيسية الارادة will والمعرفة knowledge والنية in-tention ويكمن الفرق وفق هذا المنظور للانتحار عن الانتحار غير المباشر هي النية فهي ما تميز بين الانتحار والموت العرضي، لذلك ان قياس النية للانتحار امر مهم في تقييم خطر الانتحار لدى الافراد بشكل مباشر، كما تعد ظاهر ايذاء النفس ومن ضمنها حالات الانتحار ومحاولاته بشكل اساسي كفئات (انواع ومظاهر) من التدمير الذاتي المباشر direct self-destructiveness ولكن قد تكون تلك الانواع والمظاهر لحالات من التدمير الذاتي غير المباشراً فمحاولات الانتحار والانتحار مرتبطة بسمة نفسية او متلازمة او حدث معين بشكل مباشر لا يقبل الشكاً ولكن هناك اشكال اقل حده وأكثر دقة من ايذاء النفس او تقصير او تدهور جودة الحياة ليست محسوسة على الفور وبشكل مباشر مثل: السلوكيات الخطرة والادمان الخ... فهي سلوكيات تنطوي على ميل عام الى الانخراط في افعال تزيد من احتمالية التعرض لعواقب سلبية مستقبلية او تقلل من احتمالية تحقيق عواقب ايجابية مستقبلية Orpana (et.al, 2019: 33).

الانتحار غير المباشر indirect suicide والذي يتمثل بالسلوكيات المؤذية التي من شأنها ان تنهي حياة الفرد في نهاية المطاف، فهي سلوكيات او افعال تتسبب بشكل غير مباشر في الوفاة، "تزاوج العناكب" فالذكر يعلم ما هي النهاية لكن يمارسها سواء برغبة منه او ارغام عنه فتنهي حياته، لكن لا يتوفر في هذه السلوكيات النية.

تم تقديم مصطلح غير مقصود subintentional لوصف السلوك المرتبط بالانتحار غير المباشر مما يشير الى ان السلوكيات المؤذية لا تظهر النية الكاملة للانتحار، ومع ذلك فالنية هي ليست العامل الوحيد الذي يلعب الدور الرئيسي للانتحار فالفرد لدية معرفة واعية بان السلوك الذي يمارسه قد يؤدي بحياته ويمارسه بإرادته.

طرحت العديد من التفسيرات لشرح العلاقة بين ادمان المخدرات وزيادة خطر الانتحار بما يأتي:

1. قد يرتبط ادمان المخدرات وتناولها بشكل غير مباشر وليس بشكل مباشر بزيادة خطر الانتحار بقدر ما قد يستخدم الفرد تلك المواد كوسيلة للتعامل مع الضائقة النفسية، وبمرور الوقت، يؤدي استخدام المواد المخدرة المزمن الى الحفاظ على الضائقة النفسية لدى الشخص او تفاقمها، وبالتالي زيادة احتمالية انخراطه في سلوكيات انتحارية وخاصة عندما تتفاعل مع نقاط ضعف نفسية موجودة مسبقاً.

2. كما قد تؤدي تناول المخدرات الى تفاقم الاحداث التي من شأنها تزيد من خطر الانتحار مثل فقدان العلاقة الحميمة بين الزوج وزوجته، وكذلك الطلاق و البطالة والصعوبات المالية التي جميعها تعد بذاتها عوامل خطر للانتحار.

سادساً: اقتراح استراتيجية الوقاية من المخدرات وخطر الانتحار

وفقاً لما تقدم في البحث يقترح الباحثان استراتيجية وقائية لمواجهة والحد من المخدرات وزيادة معدلات خطر الانتحار لدى الشباب، متمثلة بثلاث جوانب رئيسية: وهي تدعيم عوامل الوقاية الاصيلة Original protective factors وعوامل السيطرة الوقائية Preventive control factors و عوامل الدعم الوقائية Protective support factors وتتمثل عوامل الوقاية الاصيلة بالتركيز على الجوانب الرصينة والموجودة فعلاً في المجتمع العراقي وهي:

1. زيادة الوعي الديني Religious awareness اكد القرآن الكريم والسنة النبوية بشكل مباشر على الوقاية من الادمان والانتحار، حيث ان ديننا الاسلامي الحنيف حرم كل ما يضر النفس ويذهب بالعقل وأهمها المخدرات والكحول، حيث قال تعالى: ﴿**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ (البقرة: 195) فهي اشارة واضحة بعدم رمي النفس الى المهالك التي تؤذي النفس، ومعلوم ان المخدرات والانتحار هي من المهلكات، كذلك قوله تعالى: ﴿**ولا تقتلوا أنفسكم**﴾ (النساء: 29) فمن اذى نفسه بتعاطي المخدرات او حاول الانتحار فقد وقع في معصيتين: عدم الرضا بقضاء الله وقدره، كذلك التعدي على ما لا يملك وهي النفس الى وهبها الله ﷻ للحفاظ عليها، ويمكن توظيف ذلك وتناوله كجانب وقائي من خلال تخصيص الخطب والموحدة في المساجد، والبرامج الدينية حول مخاطر المخدرات ودورها في انهاء الحياة وضياع النفس والمجتمع، وتأكيد فتاوى التحريم لتعاطي المخدرات والاتجار بها.

2. التكاتف الاسري Family solidarity: تعمل الاسرة كعامل وقائي اصيل للإفراد فكما ذكرنا ان الادمان هو عامل هروب من واقع يراه الفرد عصيب ويجب ان يتخلص من حالة الضيق التي ترافقه عن طريق تعاطي المخدرات او انهاء الحياة (الانتحار) وان وجود نظام اسري داعم متكاتف بين افراد الاسرة، يعمل على تقليل من شأن المصائب والأزمات، وكذلك ان التواصل والسؤال والارتباط النفسي بين افراد الاسرة الواحدة، يفوت الفرصة

على اصحاب السوء الذين يستفردون بالمراهق وجذبه نحو التعاطي والادمان.

3. تأكيد نقاط القوة والضعف الشخصية لدى الإفراد: اكدت دراسة (Sailo & Sawmze-li, 2024) ان عوامل الشخصية الضعيفة تعد من ابرز مؤشرات الانجذاب نحو المخدرات، وان الثقة بالنفس والكفاح من اجل النجاح والجدية بالعمل، والحرص على الحياة هي من ابرز خصائص الناقمين للمخدرات والرغبة بالانتحار، فالخصائص الرئيسية للشخصية هي ان تصنع كائن متفاعل مع محيطة يتعامل مع كل اشكال الحياة، لذا ضرورة التركيز في المؤسسات ليس فقط على العوامل المهنية وتنميتها بالدورات والندوات، بل الاهم من التنمية المهنية التأكيد على النمو الشخصي وتكامل الشخصية، فلو اردت ان تصنع جيشاً قوياً عليك بأمرين رئيسيين هما تعليم مهارات القتال في مختلف الجبهات، وكذلك تعليم مهارات التأقلم مع ظروف المعركة وتحمل اوزارها.

كما تمثل عوامل السيطرة الوقائية: البيئة المدرسية School environment والتي تعد البيئة المثالية لتقديم تدخلات وقائية من خطر الكحول والمخدارت وكذلك تدعيم الوقاية من خطر الانتحار بشكل عام، حيث انها مركز تجمع لمراهقين بأعمار مختلفة وبإعداد كبيرة نسبياً تمثل طبقة غير صغيرة من المجتمع موجود ومسيطر عليه في المدرسة فقد تكون التدخلات بشكل عام، تشمل جميع الطلبة او بشكل خاص تستهدف مجموعة من الطلبة الذين تظهر عليهم اعراض التعاطي او الادمان او خطر الانتحار، فقد يساعد تدريب المدرسين والعاملين في بيئة المدرسة على تشخيص الطلبة الذين تظهر عليهم اعراض مشبوهه من التعاطي او خطر الانتحار أو بعض الاضطرابات الاخرى مثل : التوجه الجنسي، خطر الانتحار، التحصيل الدراسي المنخفض، العزلة الاجتماعية، التنمر، البدء الجنسي المبكر، الاكتئاب، الصدمات النفسية وغيرها.. كجزء من برنامج الوقاية من خطر الانتحار، وكيفية الاستجابة من خلال التعاون والاتصال المباشر مع المختصين في المجال النفسي والصحة النفسية والأسر والأطباء والجهات الامنية (Roberge et.al , 2019: p.11).

اما من حيث الطلبة الذين يبدون مظاهر التعاطي والإدمان بشكل كلي او جزئي، فيتم التعاون بالتحالف العلاجي للتشافي واكتساب الشفاء من خلال التدخلات العلاجية السابق الحديث عنها بالاشتراك مع الاسر، مع المتابعة المستمرة واللاحقة للذين يكملون العلاج النفسي والاجتماعي، فتوفير الرعاية اللاحقة بعد اكمال العلاج ضروري ليس فقط للأشخاص الذين حاولوا الانتحار، ولكن ايضاً للاشخاص الذين يعانون من التعاطي والإدمان وخطر الانتحار بغض النظر اذا ما حاولوا الانتحار ام لا، فهم معرضين بشكل متزايد لخطر الانتحار كلما كانت هناك صدمة ام حدث يدفعهم للتهور كالاحتفال او السفر وغيرها.

كذلك تمثل السجون ومراكز الاصلاح جانب وقائي مميز للحد من تعاطي المخدرات والانتحار، كون ان السجون تمثل مستودعات لإفراد لديهم سلوكيات غير طبيعية ادت بهم الى سجنهم، من تعاطي او اتجار او ايذاء اخرين او التعدي على الاخرين بممتلكاتهم وغيرها من السلوكيات التي ادت الى ان يوضعوا بالسجن او مراكز الاصلاح، وهذا ما يتطلب تدخل اساسي للوقاية من خلال رسم السياسات والخطط المستمرة، والتي تتعامل

مع التثقيف والعقاب على حد سواء في التخلص من ظاهرة التعاطي او سلوك ايذاء النفس الذي يؤدي بدوره الى الانتحار، فهم مسيطر عليهم في اماكن لا يبذل جهداً لجمعهم، وبالتالي بناء البرامج الاصلاحية التي لا تكتفي بأن يكونوا غير متعاطين للمواد المخدرة، بل مصلحين بعد انقضاء مدة سجنهم في المجتمع وتدعيمهم والابقاء على الاتصال بهم وتقديم المشورة والتوصيات واعادة التأهيل لهم في كل فترة.

كذلك تركز عوامل الدعم الوقائية على جوانب الاعلام والتعامل المرئي الاعلامي مع الظاهرة، فأصبح هناك جانبين للإعلام الاول ما يمثل القنوات التلفزيونية المعروفة والتي تخضع لنظم وقوانين مؤسسة الاعلام العراقية، والثاني هو القنوات الشخصية للإفراد على مواقع التواصل الاجتماعي والتي تخضع بدورها الى طلبات المشاهدين وزيادة عددهم، وهذا الامر على الرغم من انه يمثل جانب حضاري إلا انه بالوقت نفسه يمثل خطر اجتماعي اذا لم يكن مسيطراً عليه من قبل الجهات المسئوله، فتناول القصص وعرض المحتوى الذي يمثل قصص الانتحار وتفاصيلها والبطل المدمن والفكاهة او الجرأة التي يظهر بها المدمن في مقاطع قصيرة، يعد بمثابة اعلان ودافع مباشر للشباب وتثقيفهم بالمخدرات وطريقة تناولها، وكذلك كيفية الحصول عليها، وكذلك توعيتهم بخطط الانتحار وكيفية تنفيذه، لذلك ضرورة ان يخضع جميع المحتوى الى سلطة الدولة والسيطرة عليه، بما يضمن تحويل نمط المحتوى الى ناقم وناقد لسلوكيات الادمان والانتحار، وتثقيف اصحاب الصفحات والقنوات على مواقع التواصل الاجتماعي بعدم عرض محتوى يخص الادمان أو الانتحار بشكل غير منظم وصادر من وسائل الاعلام الرصينة وخاضع لقوانين الدولة.

الاستنتاجات:

يزيد تعاطي المخدرات بشكل مستقل عن اي اضطرابات اخرى سواء عقلية او نفسية او شخصية من خطر الانتحار، ويؤدي تعاطي المخدرات الحاد والمزمن الى اضعاف الحكم العقلي والتحكم في الانفعالات، والتأثيرات المباشر على عمل النواقل العصبية مثل الدوبامين والنوربنفرين وغيرها من النواقل مما يؤدي الى ارتفاع او ظهور بأي نسبة من الفكر الانتحاري من خلال ازالة التثبيط، كذلك ممكن ان يؤدي الاجهاد الفسيولوجي والايضي الناتج عن تعاطي المخدرات الى تلف عصبي ومضاعفات طبية شديدة اخرى، خاصة عند كبار السن فوق (50) سنة.

وكذلك قلة المراكز وندرتها التي تعالج مسألة الادمان ففي احصائية عن مراكز علاج الادمان يوجد ما يقارب (7) مراكز فقط بالعراق (3) منها في محافظة بغداد والبقية في بابل والانبار وذي قار والبصرة.

- **التوصيات** :

1. زيادة عدد مراكز علاج المتعاطين والمدمنين، بشكل يسير في كل محافظات العراق.
2. اعداد الكوادر المتدربة للتعامل مع المدمنين وكيفية المواجهة والعلاج في المراكز ومؤسسات الدولة كافة.
3. اجراء التقييم الدوري لقياس نية الانتحار أو الافكار الانتحارية لدى المتعاطين المسجونين أو ممن قيد العلاج.

4. التوعية الاعلامية وتنظيم النشر والسيطرة عليه فيما يخص الانتحار، والمخدرات على حد سواء.
5. الزيارات الميدانية التوعوية لرجالات الداخلية والقوى العاملة في الصحة والمختصين النفاسيين للمؤسسات للتوعية الناس بخطر التعاطي وما يؤديه من اثار نفسية تدفع الى الانتحار.
6. كما يوصي الباحثين الاسر الى عدم التغافل عن التعاطي وفحص الابناء خاصة المراهقين كون ان الكثير قد يحاول الانتحار نتيجة التعاطي.

- المقترحات:

1. اجراء دراسة لفحص العلاقة بين تعاطي المخدرات وشدة الأفكار الانتحارية.
2. اجراء دراسة عن اثر تعاطي المخدرات على الاندفاعية والعدوانية لدى المراهقين.
3. اجراء دراسة دور ادمان المخدرات في وسلوك ايذاء النفس المتعمد.

المصادر:

1. ابو زيد، سارة عبد الفتاح (2023) العوامل المرتبطة بتعاطي المخدرات لدى الشباب الجامعي والتخطيط لمواجهتها.
2. بازمول، محمد بن عمر بن سالم (2005) ايذاء النفس والانتحار اسبابه وعلاجه ومسائله.
3. حمودة، جكيمة ايت (2008) محاولات الانتحار لدى فئة من الشباب المدمن على المخدرات وعلاقتها بالضغوط النفسية وبعض متغيرات الشخصية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة الجزائر.
4. دوركهايم، إميل (2011) ترجمة حسن عودة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق.
5. السيد، احمد (2013) المخدرات تجارة الموت، دار الماجد للنشر والتوزيع.
6. عبد الرحيم، خديجة و البقال، اسمى (2019) سمات الشخصية لدى الشباب المدمن على المخدرات في المجتمع الجزائري- دراسة ميدانية بمصلحة مكافحة الادمان- المؤسسة الاستشفائية المتخصصة بوهران، مجلة الحوار المتوسط، العدد (3) المجلد (10).
7. علي، محمد السيد (2012) المخدرات وتأثيرها وطرق التخلص الامن منها، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، الرياض - المملكة العربية السعودية.
8. وازي، طاوس (2012) ظاهرة الانتحار بين التفسير الاجتماعي والتشخيص النفسي، مجلة دراسات نفسية وتربوية، العدد (8) جامعة قاصدي مرباح - الجزائر.

9. BUCKMAN, JOHN (1971) Psychology of Drug Abuse, Presented at the 24th Annual Stone-burner Lecture Series, February 26, 1971, at the Medical College of Virginia,Richmond.
10. Dinitto, M., (2012): Addictions and Social work Practice, in a challenging profession, us, lyceum Bools.
11. Dragisic, Tatjana et al (2015) Drug Addiction as Risk for Suicide Attempts, ORIGINAL PAPER • Mater Sociomed. (3): 188-191.
12. Esang Michael & Saeed Ahmed (2018) A Closer Look at Substance Use and Suicide, The American Journal of Psychiatry, VOL 13 NO 6.
13. Geise, Aaron C. (2008) Personal Growth and Personality Development: Well-being and Ego Development , Published Master's Thesis at the University of Missouri-Columbia.
14. Gvion, Yari & Apter, Alan (2012) Suicide

and Suicidal Behavior, Public Health Reviews, Vol. 34, No 2.

15. Herbeck, D., Brecht, M., (2013): Substance use and mental health Characteristics associated with Congnitive functioning among adults who use metham phetamine, vol (32), No(1).

16. Lopez, Javier et al (2016) Risk assessment and suicide by patients with schizophrenia in secondary mental healthcare: a case–control study, http://bmjopen.bmj.com/

17. Orpana H et. al (2019) Alcohol and other drugs in suicide in Canada: opportunities to support prevention through enhanced monitoring, journal of **Special feature**, VOL 20.

18. Pompili, Maurizio (2022) Suicide Risk Assessment and Prevention, Springer Nature Switzerland AG.

19. Roberge , Erika M, et al (2019) Psychological Trauma: Theory, Research, Practice, and Policy, American Psychological Association.